

الباب الثانى

الولى

من هو الولى الحقيقى وعلاماته وصفاته وأسرار الاولياء وشروط وكرامات الاولياء؟

بداية : لا أقول غاب ولكن التبس على كثير من الناس وبالذات فى ايماننا هذه فهم ومعرفة من هو الولى الحقيقى وأصبحت الفرصة سانحة للشيطان عليه لعنة الله لِيَجِدْ فى عمله ويعطل الافهام ويشوش على الافكار بكثرة الخوض فى هذا الموضوع الذى اتخذه بحراً ينصب فيه شباكه ومطية يحمل عليها عتاده فيزين للناس أشياء باطلة فى صورة حسنة ويذم للناس الحق فيجتنبوه وتمكن بالفعل من التلبس على الكثيرين حتى أساءوا فهم ومعرفة من هو الولى الحقيقى وصيرلهم الامر أمر جدل واختلاف مع أن القضية بَيِّنَةٌ والامر واضح كالشمس فى كبد النهار لا يحتاج إلى مثقال ذرة من جدال واختلاف ولكن هى خطة الشيطان اللعين للتضليل عن سبيل الله وسنة رسوله وتعطيله للافهام لذا قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة : ١٦٨] . وظن بعض الناس أن الولى الحقيقى ليس من أبناء هذا العصر ولا يوجد فى أى مصر من امصار هذا الزمان وإنما كان الاولياء الحقيقيون فى الزمن الاول وفى صدر الإسلام الاول وهم الصحابة فقط أو السلف وأما الآن ليس هناك ولى حقيقى من اولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،

لأن الكل مذنبون ومقصرون وأن الواحد منهم مهما عمل من الصالحات وتفانى فى القربات فلن ينال درجة الولى وهذا مفهوم خاطئ لا يؤخذ به لأنه مفقود الحجة والدليل لأن القول بهذا الكلام لم يطلع على اللوح المحفوظ فيتعرف على أمور الغيب . ثم يأتينا بالخبر اليقين فى هذا الموضوع، ولم يكشف أحد عن قلوب الناس ليعرف أنهم مذنبون مقصرون وأنهم غير أولياء الله .

ومنهم من زعم أن الولى الحقيقى ليس إلا من بنى له مقاماً مرموقاً، وشيد له ضريحاً شامخاً ليذهب الناس إليه فيتبركون به ويطوفون حوله ويعكفون على قبره رجاء الغوث به أو كشف البلايا وجلب المنافع ونحن نقول لهؤلاء أن هذا المقبور إن يكن ولياً حقاً فإنما نفع بولايته نفسه وخلصها من العذاب الاليم وقبضة الله لشوابه وأما عن التبرك والتمسح والطواف والنذر له من دون الله فلن ينفع ولن يفيد لأن النافع ينفع يوم القيامة نفسه « ولا تزر وزارة وزر أخرى » ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأما إن كان هذا المقبور غير ولى - كان عاصياً أو سفيهاً - فالمصيبة أكبر لأن الذى يدعو أو يستجلب منه نفعاً أو ضرراً يصبح مغبون فى أمره إذ أنه يدعو رجلاً ضالاً مقيماً فى العذاب والله در القائل:

كم من قباب تزار وأصحابها فى النار

ومنهم من قال أن الولى الحقيقى قد يكون شخصاً موجوداً بين الناس ويعرفونه ويعرفهم ويكون عاقماً أو مسرفاً أو فاجراً وقد يكون ولياً لأن ولايته سرّاً بينه وبين الله تعالى ونسوا أن سوء خلق هذا يقدر فى ولايته .

ومنهم من أفدح فيه القول فقالوا إن الولي الحقيقي لا يشترط فيه أن يكون مصلياً أو صوماً أو قواماً وربما يكون تاركاً للصلاة ولا يعرف قبله المسلمين ولا يصوم ولا يقدم شيئاً من أركان الإسلام ولا أعمال البر ورغم ذلك فهو ولي من أولياء الله الصالحين وإذا سألتهم كيف؟ سرعان ما تسمع الإجابة حاضرة على اللسان بالافتراء على الله فيقولون إنه لا يصلى فى دنياكم هذه ولا يصوم فيها ولا يتعبد فيها وإذا قلت لهم إذا فإين يصلى؟ وفى أى دنيا أخرى يتعبد؟ فقالوا لك: إنه قد يكون يصلى فى كوكب آخر وعالم آخر غير عالم الأشباح هذا يصلى فى عالم نورانى غيبى علوى، أما الصلاة فى هذا العالم فهى لا تليق لمثل هذا الولي لانه عالم نَجَسُهُ البشر بالذنوب وربما قالوا لك إنه لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج لانه قد رفع عنه التكليف واذهب الله عنه مئونة العبادة وإذا قلت لهم كيف ولماذا؟ لقالوا: لانه قد (حقت) فيه هذه الآية ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجرات: ٩٩] وهذا الولي قد وصل إلى درجة اليقين وهذه هى درجة رفع التكليف ومؤونة العبادة فلا عبادة عليه . ولا ندرى أوليهم هذا هو على ملة أهدى من ملة محمد ﷺ ؟ أم أنه إفتراء على الله وكذب؟ والثانية هى الحقيقة . وغير ذلك كثير جداً من الكلام والكذب والافتراء الذى تأبى أن تسمعه الآذان وتتأذى من سماعه وتاباه أيضاً القلوب المؤمنة وتاباه الفطر السليمة الصحيحة ويأباه أيضاً العقل الذكى المتفكر وتراهم يقولون الكلام على أمر جتهم ويفسرون آى القرآن حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وتوحيه شياطينهم حتى قالوا عن اليقين المقصود فى الآية السابقة هى

درجة الوصول لرفع التكليف وعلم القلم وفسروها على ما يروق لهم هم
ونسوا أن المقصود بها الموت ويشهد الله على ما فى قلوبهم وهو الد الخصام
ويشهد الله أن ذلك الإفتراء ما يراد به إلا هدم الإسلام فهم قوم للإسلام
هدامون والإسلام منهم براء بشركهم وزيفهم وافتراءاتهم فنسأل الله تعالى
صالح الأحوال لنا جميعاً آمين ..

الفصل الأول

من هو الولي الحقيقي

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ولم يقل سبحانه الله ولي الذين أتاهم درجة اليقين أو ولي من رفع عنهم التكليف ومشقة العبادة ولم يقل الله ولي أصحاب المقامات والاضرحة وإنما قال: ﴿وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٦) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

وقال فى الحديث القدسى المبارك رواه البخارى وأبو نعيم فى الحلية والبغوى وذكره الألبانى فى السلسلة أن الله تبارك وتعالى قال: «من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها. ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعبدنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١) فقد بين لنا المولى سبحانه فى هذا الحديث القدسى وفى

(١) أخرجه البخارى (١١ / ح ٦٥٠٢ فى الفتح) وأبو نعيم فى الحلية والبغوى وذكره الألبانى فى السلسلة) وفى عون البارى.

الآيات القرآنية: من هو الولي الحقيقي . فقد ذكر سبحانه أنه هو المتقرب إليه بالطاعات المتحجب إليه بالنوافل والقربات المواظب والحريص على طاعة مولاه سبحانه .

ففى الآية الاولى قوله سبحانه ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فذكر الإيمان، والإيمان قول وعمل وفى الثانية قال عن أولياء الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ إِذَا فُشِطَ الوَلَايَةُ الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ بَيْنَ لَنَا فَضْلٌ مِنْ يَقُومُ بِهِذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ إِلَى اللَّهِ بِأَنَّهُ يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى سَمِعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَيَبْصُرَهُ الَّذِى يَبْصُرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا . وَإِذَا سَأَلَ اللَّهُ وَدَعَاهُ فِى أَى وَقْتٍ اسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَأَعْطَاهُ مَسْأَلَتَهُ وَإِذَا اسْتَعَاذَهُ مِنْ شَىْءٍ يَكْرَهُهُ وَيَخَافُهُ أَعَاذَهُ مِنْهُ وَنَصَرَهُ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ أَنَّ اللَّهَ بِبِرْكَةِ حَبِىءٍ لَوْلِيهِ هَذَا لَمْ يَتَرَدَّدْ فِى شَىْءٍ هُوَ فَاعِلُهُ تَرَدَّدَهُ مِنْ قَبْضِ رُوحِ الْوَلِىِّ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَاللَّهُ يَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ لِحَبِىءٍ لَهُ وَرَحْمَتُهُ وَإِكْرَامُهُ . وَذَلِكَ يَفِيدُ مَدَى حُبِّ وَرَحْمَةِ اللَّهِ لَوْلِيهِ .

ولم يذكر لنا المولى سبحانه فى أمر الولى شىء مما تفوه به المتكلفين والمتفهيقين من القائلين فى الولى بالإطراء أو بالغلو فيه بالكلام المخترع والمصنوع من عند أنفسهم والذي ما أنزل الله به من سلطان .

وقال السيوطى: وسمى الولى ولياً لأنه وألى الله بالطاعة ووالاه بالمغفرة وقال الحافظ فى الفتح المراد بولى الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص فى عبادته وقوله سبحانه من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب: أى أعلمته بأننى محارب له حيث أنه كان محارب لى بمعاداته ولياً من أولياتى .

وقال العلماء: إن أولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم وأعداء الله تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم.

وقال: الطوفى ولما كان ولى الله سبحانه ممن تولى الله سبحانه بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة وجاء فى الحديث النبوى الشريف «إن لله عبادة ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا: أخبرنا من هم وما أعمالهم فعلنا نحبههم. قال: قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموالاً يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور. لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] رواه الطبرانى.

حديث سيدنا عيسى عن أولياء الله الصالحين

وعن أولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين هم حقاً لله أولياء تحدث نبى الله عيسى عليه السلام: جاء فى كتاب الزهد لأحمد عن عوف بن داود قال سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال: قال الحواريون: يا عيسى من أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال عيسى بن مريم:

«الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا منها ما يخشون أن

يُميتهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم فصار إستكثارهم منها استقلالاً
 وذكرهم إياها فواتاً وفرحهم بما أصابوا منها حزناً فما عارضهم من نائلها
 رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه وخَلَقَت الدنيا عندهم
 فليسوا يجددونها وخربت بينهم فليسوا يعمرونها وماتت في صدورهم
 فليسوا يحييونها يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما
 بقى لهم ورفضوها فكانوا فيها هم الفرحين ونظروا إلى أهلها صرعى قد
 خلت فيهم المثالات وأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله
 ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبر عجيب وعندهم
 الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم
 علم الكتاب وبه علموا وليسوا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أماناً دون ما
 يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون»^(١).

(١) ذكره الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الزهد في مواضع عيسى عليه السلام.

الفصل الثانى

علامات الولى

إنه مما لا يتعارض مع العقل والشرع أن لكل صاحب حال علامات ظاهرة تعبر عن حاله وتنطق بلسان لا يكذب وهو لسان الفطرة عن داخله الذى يشعر به فيعرف المسرور والفرح بعلامات السرور والفرح . وهى مثلاً بشاشة الوجه والابتسامة ويعرف المحزون من عباسة الوجه وسرعة الغضب ويعرف المجهد من احمرار الوجه ويعرف الخائف من اصفراره وارتبأكه ويعرف المريض من هزله ووعكه وهلم جرا .

ويعرف الولى من أولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من علامات ظاهرة فيه يلتمسها به الناس . لأنها تكون علامات تميزه عن غيره الا وتنطق بلسان الحق بأن صاحبها ولى من أولياء الله الا وهى :

١ - من تذكرك بالله رؤيته، ويذهدك فى دنياك عمله، ويزيدك فى عملك منطقته .

٢ - فى الصلاة فيكون حالة فيها حال الخشوع والخضوع والتعظيم لها والمحافظة عليها مهما كانت الظروف .

٣ - فى محبته السنة والعمل بها والتمسك والحرص عليها .

٤ - فى محبته لاهل السنة .

٥ - دعوته إلى الله فيجند نفسه داعي إلى الله على بصيرة فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٦ - في تجريد التوحيد المنافي للشرك بالله جل وعلا فلا ينبغي أن يكون من الذين يتخبطون من الناس فيعطلون تجريد توحيدهم لخالقهم بسبب شركهم أو غلوهم في الصالحين أو اتخاذهم مع الله نداً أو ولياً ونحوه.

٧ - في مخالفته لأهل البدع والبعد عن مذهبهم إبتغاء وجه الله جل وعلا.

٨ - في قوله الحق ولو كان مرأً.

٩ - أن يعد نفسه من المقصرين وإن كان من المجتهدين.

١٠ - ألا يستكثر على الله الكثير ولا يرضى له بالقليل.

١١ - أن يكون للسانه خازنٌ ولبصره مطرفٌ وفي نطقه لله ذاكرٌ.

١٢ - أن يستوى لديه ذم الناس ومدحهم.

١٣ - أن يكون لين القلب صغيراً عند نفسه مهياً مبجلاً عند الناس.

١٤ - إذا ذكر الله مال كما يميل الشجر في يوم الريح وهملت عينيه بالبكاء والدموع.

١٥ - أن يعبا بأمر الآخرة ولا يعبا بأمر الدنيا وإذا عرض عليه أمران أمر الدنيا وأمر آخرة ابتداء بأمر الآخرة وقدمه على أمر الدنيا وتفرغ لأمر الدنيا بعد ذلك.

١٦ - حبه للمساكين وتعظيمه لأهل الدين .

١٧ - فى التواضع لعباد الله فى أرضه .

١٨ - عدم طلبه العلو فى الأرض والرفعة والجاه وحب السلطة والمال والبناء لقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] وأن ينظر إلى من هو دونه ولا ينظر إلى من هو فوقه .

١٩ - ألا يخشى فى الله لومة لائم . فلا ينبغي له أن يكون مدهناً أو منافقاً أو خائفاً من جبار فى الأرض أو ظالم أو لا يكون نفاقه ومدهنته حفظاً منه لشرف أو سمعة أو منصب يخشى عليه .

فقد جاء فى كتاب الروح لابن القيم فى الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما مختصره :-

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أن أولياء الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسله فى الحرم والحل والذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها . فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً ولا يستحبون السماع الشيطاني على سماع القرآن ولا يؤثرون صحبة الافتتان على مرضاة الرحمن ولا المعازف والمقاني على السبع المثاني وأنشد يقول ...

برئنا إلى الله من معشر
بهم مرض مورد للضنا

وكم قلست يا قوم أنتم على شفا جرف من سماع الغنا
 فلما استهانوا بتوبييها تركنا غوياً وما قد جنا
 وهل يستجيب لداعى الهدى غوى أصار الغنا ديدنا؟
 فعشنا على ملة المصطفى وماتوا على تاتنا تنتنا
 وقال رحمه الله :

فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحب وليهم الداعون إليه المحاربون لمن
 خرج عنه وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحب وليهم قولاً وعملاً يدعون
 إليه ويحاربون من نهاهم عنه فإذا رأيت الرجل يحب السماع الشيطاني من
 الشرك والبدع والفجور علمت أنه من أوليائه فإذا اشتبه عليك فاكشفه في
 ثلاث مواطن :-

١ - فى الصلاة ومحبة لاهل السنة وأهلها ونفوره عنهم .

٢ - ودعوته إلى الله ورسوله .

٣ - وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا
 كشف ولا خارق ولو مشى على الماء أو طار فى الهواء - انتهى .

فإذا وزنته بهؤلاء الثلاث وتبين لك أنه من أهل البدع والمخالفة والضلالة
 فيجب الابتعاد عنه واجتناب مجلسه لأن فيه الخسارة لا المكسب وقد جاء
 فى كتاب الاعتصام للشاطبى قال : فيما كتب أسعد بن موسى لعامله
 « وإياك أن يكون لك من البدع أخ أو جليس أو صاحب فإنه جاء فى الأثر
 من جالس صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكل إلى نفسه ، ومن مشى
 إلى صاحب بدعة مشى إلى هدم الإسلام .

الفصل الثالث

صفات الولي

قال تعالى فى سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿[الفرقان: ٦٣ - ٦٤] وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَارِ ﴿[آل عمران: ١٥ - ١٧] وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

فمن خلال هذه الآيات الكريمة المباركات يتبين لنا أن لاولياء الله سبحانه صفات عظيمة القدر غالية وهى صفات العلو والرقى إلى الله فى الدارين وهذه الصفات تتمثل فى :-

- ١ - صفة التواضع ولين الجانب للناس .
- ٢ - صفة السجود والقيام .
- ٣ - صفة الصبر وتفويض الامور على الله .
- ٤ - صفة الصدق .
- ٥ - صفة القنوت .

٦ - صفة الإنفاق .

٧ - صفة الاستغفار فى آخر ساعات الليل وقبل ظهور الفجر وهو وقت السحر .

٨ - صفة السمع والطاعة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ .

الفصل الرابع

أسرار الأولياء

إن عالم الأسرار عالم له طابع خاص فهو عالم غريب وعجيب لانه يكون بين الناس ومحجوب عن الناس وغريب لانه كالحوت يسبح فى قاع بحر النفس ولا يخرج منها فيموت وهو كالعذراء فى خدرها تخشى أن تتكشف للناس فلا تنكشف إلا للمحارم فقط . ولا يستطيع أحد كائن من كان أن يطلع على هذا العالم الغريب العجيب ويجليه إليه إلا الله سبحانه و حده لانه ﴿ يَظْلِمُ السِّرُّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] .

ونحن بفضل من الله تعالى فى هذا الباب وفى هذا الفصل نكشف عن أغرب وأعجب ما فى هذا العالم الخفى من أسرار وذلك بإذن من الله وفضله . ونكشف عن غريب هذا العالم ونسرد عجيبة من الأسرار فى هذا المقام والله الموفق فإن لأولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أسرار قربتهم من الله وثبتتهم على طاعته و كانت سبباً لتفوقهم فى عبادته وذاقوا حلاوة لهذه الأسرار وتمتعوا بلذاتها فهونت متعة هذه الأسرار عليهم مصائب الدنيا ومشاقها فحولت مرارة العذاب إلى حلاوة وشقاوة الدنيا إلى سعادة .

وقربت لهم كل بعيد وكشفت لهم عن كل نور جديد وتلك الأسرار العالية نسجت لها عزائمهم وصنعتها همهم وحاكتها قلوبهم وقدمتها

أرواحهم وأبدانهم خائصة طيبة نقية إلى الله رب العالمين .

وهذه الأسرار تنقسم إلى قسمين أو نوعين وهى ... أسرار مع النفس،
وأسرار مع الله سبحانه .

وأما أسرار الولي مع نفسه فهى ستة أسرار لتربية النفس وتقويمها فلكل
ولى من أولياء الله الصالحين مع نفسه أسرار لتربيتها وتقويمها لكى يعدها
له وزيراً معيناً له على طاعة مولاه جل وعلا ونذكر هؤلاء الأسرار الستة وما
فيهن من العجائب فأما هؤلاء الأسرار فهى : -

المشاركة، والمراقبة، والمحاسبة، والمعاقبة، والمجاهدة^(١)، والمعاتبة .

وأما أسرارهم مع الله فهى سبعة أسرار وهم :

١- سر سلامة القلب

٢- سر سلامة الإسلام

٣- سر الإلهام

٥- سر الحكمة

٦- الهيبة والوقار

٧- سر السعادة وراحة البال

السر الأول المشاركة

ومعنى المشاركة والشرط هو ما يتقرر فى بيع وفى الفقه هو ما لا يتم
البيع إلا به وبماذا تكون المشاركة ؟ تكون بالعقل على النفس .

(١) اقتباساً من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة .

وهذا السر وتلك الفضيلة المشاركة لها شأن كريم على النفس لأنها واحدة من أساليب التربية الفعالة لنفس العبد المؤمن فهي درجة عليا، أول درجات الرقي بالنفس والسمو بها إلى منازل الأولياء والمقربين.

فما أحوج كل نفس بشرية خلقها الله إلى هذه الفضيلة السمينه وذلك الخلق الرفيع فتتحلى بالمشاركة وتقوم بها لتنعم بخيرى الدنيا والآخرة ويتم لها بعد تمام وكمال الطاعة ما ادخره المولى لها من النعيم والحيرة والمشاركة تكون بالعقل على النفس فيكون العقل بمثابة التاجر الفطن والنفس بمثابة الشريك الغير مأمون فيشترط العقل على النفس شروطاً ويوظف عليها الوظائف فكيفما تربح التجارة يحتاج كل تاجر إلى شريك يستعين به فى تجارته وكذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس لتقوم السوق وتعرض البضائع وتجرى الوظائف ويكون العقل راشداً مرشداً فيرشد النفس إلى الطريق الصحيح ويخشى خيانتها وشرودها ويقف لها مراقباً ومربياً كى تعينه على الوصول إلى بر الأمان والفوز بالربح المنتظر بعد تمام المدة المحددة لهذه التجارة وإنفضاض السوق وإى تجارة أعظم من التجارة مع الله رب العالمين.

وإى ربح لتجارة أعظم وأعلى من الجنة والفردوس الأعلى فحق على تجارة كان ربحها الفردوس الأعلى أن تحظى من قبل صاحبها بالتدقيق والمشاركة والمحاسبة خشية الخسارة وفوات هذا النعيم كله المنتظر.

وحق لتجارة ربحها هذا المؤمل أن تحظى من قبل صاحبها ببذل قصارى الجهد فى السعى لطلبها والعمل والجد من أجلها والحرص عليها.

فكيف تكون المشاركة :

تكون بأن يشترط الإنسان بعقله على نفسه أن تحفظه من سبعة أعضاء هؤلاء الأعضاء السبعة ما هلك هالك إلا من ورائهن ..

وما أدخل الناس نار الجحيم وذاقوا العذاب الاليم بعد إيمانهم وإسلامهم وعلمهم إلا بهن أو بعضهن أو عدم التحصن منهن .

وهؤلاء السبعة أعضاء هن السمع والبصر واللسان والبطن والفرج واليد والقدم .. هؤلاء الأعضاء السبعة بهن النجاة من الأحوال وسوء الأحوال والضروب والنكال وبهن الحسرة والندامة والخيبة والتعاسة .

ولو نظرنا إلى هؤلاء الأعضاء نجد أنهم سبعة وأبواب النار سبعة وكان كل عضو من هؤلاء الأعضاء سبباً لفتح باباً من أبواب النار ودرك من دركاتهما .

فتفطن يا أريب قبل أن تقع في أمر كريه فلا تجد لك صاحب ولا قريب ولا صديق ولا حبيب يخلصك من نار الجحيم ومرار اليم وعذاب مقيم واشترط على نفسك من الآن قبل فوات الأوان وأنت في دار الدقائق والثوان أن تملا قلبك بالإيمان وتشغل عمرك بالإحسان وتصرف نفسك إلى الواحد الديان بالطاعة والإقدام فاشترط عليها أن تحفظك من عينك فلا تنظر إلى محرم وإذا نظرت فلا تهملها ولا تتركها من غير حساب وعتاب وعقاب وجهاد وإلا هان عليها الأمر وصار صغير وأخذ الذنب بعد الذنب وتخطى الخطأ الجم لأن الذنوب تولد أقرانها وأخواتها وقل لها تفكرى يا نفسى فى هذه الآية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

وَالْبَصَرُ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦] ففهمها هذه الآية وقل لها يا نفس ويحك اليس هذا الكلام قرأنا يتلى وكلام المولى؟ واخبرها أن هذه النعمة ما خلقت لهذا الحرام وجملة الآثام، إنما خلقت للحلال وطاعة ذى الجلال والشكر والعبادة فما هذا الذى تجاوزتى به حدك وتخرجين به عن طوع سيدك إن كان هذا الخروج عن جهنك فما أعظم مصيبتك لقلة علمك وكثرة شركك وبعذك وفجورك وأين أنت من قول سيدك سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وإن كانت هذه المرأة على الله فى معصيته عن علمك بأنها تجاوزت من حدك فإن مصيبتك أعظم وأمرك أدهى وأطم إذ أنه لا حجة لك فقد علمت فلماذا تجاوزت وبأى حق اسرفت؟ وأين أنت من قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ وقوله النبى ﷺ: «أول من تسعربهم النار يوم القيامة ثلاثة منهم عالم».

واشترط عليها أن تحفظك كذلك من عضو السمع فلا تسمع إلا حلالاً من ذكر وقرآن وتسبيح وآذان ونحوه وقل لها بلسان الحال يا نفس إن السوق قائمة وإن كل تاجر قد عرض سلعته وإن خالق الخلق ومدبر الأمر قد عرض سلعته وهى الجنة والأمر لك بالخير فاخترى مع من تتاجرين؟ مع الله فتكون لك السعادة ووافر الربح والفوز بالجنة حيث النعمة.

أم مع غيره ممن لا يملك لك نفعاً ولا ضرراً فتكون الحسرة والندامة على فادح الخسارة واشترط عليها أن تحفظك من عضو اللسان وقل لها يا نفس قد من عليك الله المنان بنعمة اللسان وجعله عضلة مرنة سهلة الحركة والدوران والتذوق والكلام فسيحان الحنان المنان فانظري فيما تستخدمينه

وقد أمرك مولاك أن يكون فى ذكره وشكره وحسن عبادته فحذارى ثم حذارى من سوء استخدام هذه الآلة المنة فإنها على مرونتها وسهولتها إلا إنها تكون سبباً كبيراً لهلاك صاحبها إن لم يحفظها ومن سوء الاستخدام يمنعها فقد ورد فى الحديث الذى رواه البخارى عن معاذ ابن جبل «قال: قلت يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال له ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد السنتهم»^(١) واشترط عليها أن تحفظك من البطن فتتقى شره الطعام وأكل الحرام والربا والسحت ومال البيتيم وغيره فإن الله تعالى أوصى بذلك رسوله وأنبياءه فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وقد ذم الله تعالى الحرام ونهى عن أكله فقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] وإن النبى ﷺ ذكر فى حديثه: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب»^(٢) وقال فى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال البيتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(٣) متفق عليه. ومعنى الموبقات المهلكات.

واشترط عليها أن تحفظك من الفرج فتتقى به أن تتعدى حدود الله من الحلال يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (٥)﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأخرجه (٤/ ح ٢٤٠٦).

(٢) رواه مسلم وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) أخرجه البخارى فى الفتح (٥ ح ٢٧٦٦) وملم فى الإيمان (١/ ١٤٥٩٢).

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧] واشترط عليها أن تحفظك من اليد فلا
تبطش بغير حق ولا تمد لسؤال لغير الله جل وعلا ولا تمد لسرقة أو لخراب أو
فعل منهى عنه واشترط عليها أن تحفظك من القدم فلا تمش إلى معصية إنما
تمشى بها إلى الصلوات الخمس في جماعة ولجالس العلم والذكر وأنفعال
البر جميعها فإذا تحققت فيها أمور المشارطة يبقى بعدها المراقبة على ما
اشترط عليها.

السر الثاني المراقبة

فإذا وفق العبد في مشارطة نفسه يبقى له مراقبتها على ما اشترط عليها
لئلا تنقض عهدا وتخرق وعدها وتتعدى حدودها.

والمراقبة تكون في سبعة أشياء: في الطاعة، وفي المعصية، والتوبة، وفي
المباح، وفي النعم، وفي البلاء.

أولاً: في الطاعة :

فتبدأ فيه بنية ثم تتوسط بعدها بالإخلاص ثم تنتهي بالإحسان فإذا
قدمت النفس إلى عمل من أعمال الطاعة والبر يجب على العقل أن يراقبها
فيه فينظر ما المقصود بعمل هذه الطاعة وما الدافع إليها أيكون المقصد
والدافع إليها مرضاة الله أم مرضاة الناس وحب السمعة أو حرصاً على حفظ
من حظوظ الدنيا أو حظوظ النفس فإن كان المقصود بها وجه الله تعالى
ومرضاته فيجب عليه أن يرغبها في الإخلاص وإن كان المقصود به غير الله
صار ذلك حظها من الدنيا وذلك بسبب ما شاب الإخلاص في هذا العمل

من شوب الهدف والمقصد الدنيوى الزائف مثل الرياء، والسمعة لمرضاة الناس فالواجب إذا وقعت النفس فى هذه الذلة أن يدفعها بعيداً عن هذا الشوب الذى يعكر عليها إخلاصها فى العمل وكان أحد الصالحين وهو سفيان الثورى يضرب نفسه ويقول لها يا نفس اخلصى وتخلصى ولتقل لها يا نفس هل هناك غير الله أحب إليك مرضاته وقبوله للعمل سواء فتؤثرى إياه فى الطاعة عن الله .

فمن هنا كان حقاً على العبد قبل شروعه للعمل أن ينظر ما الذى حركه عليه ودفعه لفعله فإن كان المحرك إخلاصاً لمولاه أقبل وإن كان لسواه أحجم وقال رحمه الله : رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان الله مضى وإن كان لغير الله تأخر .

وإن لفضيلة المراقبة أهلاً عرفوا قدرها وسعدوا بنيلها فهى فضيلة ليست لكل الناس وإنما أهل المراقبة قليلون ممن اختار الله واصطفى من عباده لأنها ليست بالأمر الهين إنما هى ثقيلة تحتاج إلى رجال .

وقيل دخل الشبل على ابن أبى الحسين النوى وهو قاعد ساكن لا يتحرك من ظاهره شئ فقال له ممن أخذت هذه المراقبة والسكون فقال من نسور كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر حتى لا يتحرك لها شعره .

وتكون المراقبة فى النعم والعطاء بالشكر عليها وإن ينسب العبد هذه المنة وتلك النعمة والعطية للمنعم سبحانه لأن كل شئ منه ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَعِنَ اللَّهُ ﴾ [النحل: ٥٣] وتكون المراقبة فى النعم بعدة أشياء نذكر

منها:

- ١ - الشكر عليها .
- ٢ - حسن استخدامها .
- ٣ - المحافظة عليها .
- ٤ - معرفة قدرها وقيمتها والتعرف على عظمة من أوجدها .

السر الثالث المحاسبة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [حشر: ١٨] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠] وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] ،
٨ [فهذه الآيات الكريمات إذا نظرنا إليها نجد أنها تشير إلى المحاسبة محاسبة العبد نفسه وأن المحاسبة صفة من صفات المؤمنين المتقين كما أخبر الحق سبحانه في الآية في خطابه للمؤمنين يحثهم على المحاسبة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) فهي صفة المؤمنين المتقين الأولياء الصالحين لله رب العالمين .

وهي صفة الأكياس العقلاء وأولى الالباب لقول النبي ﷺ في الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها

(١) أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه وأخرج الحاكم وصححه .

وتمنى على الله الأمانى» (١) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار فقال يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» رواه ابن أبي الدنيا (٢) فطوبى لعبد فطن لنفسه واستيقظ من غفلته فعلم أن نفسه حقيرة ومدة سيرة فامسك بلجامها وساقها إلى طريق النجاة وحاد بها عن طريق الهلاك . طوبى لعبد فطن أن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب بلا عمل فخاف على نفسه من الفوت والضياع فى الآخرة فوقف لنفسه محاسباً يحاسبها فى يوم العمل قبل يوم الحساب استعداداً منه لها وتهيئة ليوم الحساب وتقديراً لعظمته وهيبته ورهبة هذا اليوم الكبير الطامة الكبرى الذى لا بد وحثماً لتجزى نفسه بما كسبت ويجزى فيه كل بما قدم يوم لا ظلم فيه من قدم شئ وجده طوبى لعبد فطن الدنيا مهما كثرت ومهما حلت وتزينت ومنها تزخرت فإنها دار فرار وأن الآخرة دار قرار فأخذ الزاد من دار الفرار إلى دار القرار .

طوبى لعبد فطن أن الدنيا مهما طالت فهى ساعة وأن الآخرة ليست لها نهاية فتذكر لحظة كيف يغتنم هذه الساعة ليسعد ويفوز بدار ليست لها نهاية وهذه المحاسبة بفضل الله جلا وعلا تكسب العبد صفات غالية وفضائل عالية نذكر منها :

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الموت والطيراني فى الصغير بإسناد حسن ورواه ابن ماجه بإسناد جيد ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ آخر وهو الحديث السابق .

١ - النفس اللوامة

فإن المحاسب لنفسه المسترجع لها يصل به ذلك إلى اكتساب نفس لوامه والنفس اللوامة لها شأن عند الله كبير وهى نفس أحبها الله وأقسم بها لعظمتها عنده وجميل قدرها فقال سبحانه فى سورة القيامة ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] .

٢ - وجوب توبة الله على صاحب هذه الصفة

لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧] .

ففى هذه الآية الكريمة إخبار من الله بمن تجب عليهم توبته وأنها تجب من الله على صنف معين من الناس وهم الذين إذا فعلوا الذنب ندموا وخافوا سوء العقاب فتذكروا فبادرو بالحساب وبمحاسبة أنفسهم ولومها واسترجاعها والتوبة قبل أن يحاسبوا عليها فهرعوا إلى مولاهم وضرعوا إليه وخشعوا وخافوا وأعلنوا الإقلاع عن تلك المعصية فهؤلاء الصنف من الناس هم الذين وجبت عليهم التوبة من الله تعالى أى المغفرة والقبول .

٣ - التقوى

فإن المحاسب لنفسه المسترجع لها التائب يكتسب بذلك درجة رضية وفضيلة كريمة وهى التقوى لقوله سبحانه فى ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨] فإن المحاسب لنفسه إنما يحثها على تقوى الله تبارك وتعالى وطاقته .

وهي الفطنة وحدة الذكاء وكامل العقل لقوله ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »^(١).

٥ - هي صفة من صفات أهل الجنة.

فإن المحاسبة من عظيم قدرها ومن جميل فضلها أنها صفة من صفات أهل الجنة فإن أهل الجنة كما تخلقوا بها وقاموا دائماً أبدأً بالمحاسبة والملامة لأنفسهم على تقصيرهم ونالوا بهذه الصفة صفة المحاسبة المقامات العالية والدرجات السامية والقرب من رب العالمين وأخبرنا بذلك الحق سبحانه في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ يَفْعَلْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ أَشْرَافَ الْمَمَالِكِ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

كيفيتها :

قال عمر بن الخطاب: - رضى الله عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

وقال حكيم: واعلم أن العبد كما ينبغي أن يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه كذلك ينبغي أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار ويحاسبها على جميع ما كان منها كما يفعل التجار في

(١) أخرجه الترمذى وأحمد وابن ماجه وأخرجه الحاكم وصححه على شرط البخارى .

الدنيا مع الشركاء فى آخر سنة أو شهر أو يوم .

وقال أحد الحكماء يصف معنى المحاسبة

ومعنى المحاسبة أن ينظر فى رأس المال وفى الربح وفى الخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فرأس المال فى دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصى ويحاسبها أولاً على الفرائض فإذا ارتكبت معصية اشتغل بعقابها ومعاقبتها ليستوف ما فرط .

وقيل كان توبة بن الصمة بالرقعة وكان محاسباً لنفسه وحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هى إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فخرج وقال يا ولى أن ألقى الملك سبحانه بإحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب كيف وفى كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول يا لها ركضة إلى الفردوس الأعلى .

فياولى الله اعلم أن المحاسبة كنز عظيم فلا تضيعه ثم نندم عليه فبادر ثم بادر ثم بادر عبد الله لتحظى بفضيلة المحاسبة .

١ - المعاقبة

وهى معاقبة النفس بعد محاسبتها على تقصيرها، فينبغى إذا فرغ من محاسبته نفسه فإذا وجد منها تقصيراً أو مخالفة أو اقترفت ذنباً أسرع فى معاقبتها على ذلك ولا يهملها ويتركها بدون معاقبة وإلا شردت وتحجرت وسهل عليها مقارفة الذنوب ويعسر عليها مفارقتها فمن هنا كان للمعاقبة دوراً فعالاً لردعها وغطائها والمعاقبة تكون فيما يباح به المعاقبة للنفس شرعاً

ولا يجوز معاقبتها بما يخالف الشرع ولا يرضاه فتكون معاقبتها فى تزويدها بكثرة الاوراد اليومية أو إجبارها على القيام بالليل والسهر وحرمانها من النوم أو على مدارسها بآباً من العلم أو على انفاقها صدقة أو تعزيزها بالصوم ونحوه ولكن كونه أن يعاقبها العبد بضرب مبرح أو بجلد أو بقطع أو بشح ونحوه فهذا ما لا يجوز لأن فيه التعدى على ملك الله وصنعتة وفيه المخالفة الشرعية لأن هذه الاعضاء الحميدة أمانة استودعها الله عبده فى أرضه فوجب عليه حفظها وصونها ولا يتصرف فيها بما يروق له أو على هواه وفيه القلد . فيها وللمعاقبة من الفضائل العظيمة ما يرغب فيها ويقرب لفعلها فمن فضائلها :

١ - الزكاة بمعنى زكاة النفس وهوتطهيرها من كل شوب يشوبها عن إخلاصها لمولاه سبحانه قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ [الشمس: ٧-١٠] ففى المعاقبة زكاة النفس وطهارتها وصونها ورفقيها وعلو قدرها وزكاتها تلك مقضية إلى فلاحها لا محالة بإذن الله تعالى .

٢ - فضيلة التأدب مع الله ومع الناس .
فيكون التأدب مع الله بصاعته وحسن عبادته والانقياد إلى حكمه وشرعه والتأدب مع الناس باللين لين الجانب والرحمة والرفاة والموالاة والعادة فيوالى أولياء الله ويعادى أعداءه .

٣ - المصالحة وتجديد العهد مع الله تعالى

وهى التجارة الرباحة والفوز فى الدنيا بمغفرة النفس وإقبال الله على عبده يقول سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان : ٧٠] .

السـر الخامس المجاهدة

والمقصود بالمجاهدة مجاهدة النفس فى دفع الهوى عنها والشهوات حتى تستقر على طاعة الله تعالى .

والمجاهدة هى بذل ما فى الوسع للتحصيل على غاية ومعناها فى المصطلح الفقهى هى بذل غاية ما فى الوسع ليحصل ظن بحكم شرعى .

ومعناها فى علم النفس : هى كل نشاط يبذله الكائن الحى الواعى جسمياً أو عقلياً ويهدف عادةً إلى غاية .

وهل هناك غاية هى أعلى وأسمى وأعلى من الله وقربه ورضاه وجنته فإن هذه الغاية وذلك المطلب هى غاية ومطلب العقلاء الفطناء العلماء فطوبى لمن سعى فى تحقيقه وحسن مآب ولهذه الفضيلة المجاهدة من الفضائل الكثير نذكر منها :

فضل المجاهدة :

١ - الاستقامة : فإن المجاهدة مجاهدة العبد نفسه موصله إلى الاستقامة على طاعة الله بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت : ٣٠) فلا يزال الرجل مستقيماً ما كان مجاهداً لنفسه من ، أجل التحصيل على أسمى غاية فى الوجوه وهى الله

٢ - حياة هنية ومنية رضية.

فاعلم يا ولى الله أن من فضل المجاهدة هذا الفضل العظيم الغالى الذى هو ببركة المجاهدة مجاهدة النفس فى دفع الهوى لتستقر على طاعة مولاهم والذى عقل عن تحقيقه واشتغل كثيراً من الناس إلا من رحم ربه وهدى وتركوه وراء ظهورهم وهو الحياة الهنيئة والميتة الرضية.

فالمجاهدة سبباً للحياة الهنية وسعادة العيش حلاوته ونعيمه وحيرته وإن كان بعض الناس يرون الظاهر فى الولى غير ذلك لأنه يتحلى بالزهد والورع لمولاه عن الدنيا إلا أنه يحيا فى السعادة الحقيقية التى لو علموها لتنافسوا عليها ليرتاحوا وليهنتوا بحياتهم فى الدنيا ولو كشف الناس عن قلب الولى وتعرفوا على ما هو فيه من السعادة والنعيم والجنة الخالدة الدائمة لحاربوه عليها ويعلموا بالحقيقة أنه هو السعيد الحقيقى لأن محل السعادة والنعمة والخبرة فى الإيمان بالله تعالى ومحل هذا الإيمان القلب والقلب لا سلطان لأحد عليه إلا الله إذا فقد يسلب من الغنى ماله وقد يصيب القوى مرضاً يضعفه فيسلبه السعادة بقوته وكذا الملك فى ملكه وكذا كل من يملك شئ من حطام الدنيا فحتماً إما أن يتركه هو أو يتركه حاجته أما المؤمن السعيد فلا سلطان لأحد على قلبه لذا فهو فى أتم السعادة فى الدارين الدنيا والآخرة فطوبى لقلوب تعرفت بالحقيقة على عظمة ربها واستحضرت هذه العظمة بداخلها فانشغلت بلذة ذكره وحبه والتفكر فى عظيمته وقدرته فجاهدت من أجل رضاه وحسن مجيئه ولقائه وهل هناك على وجه البسيطة نعمة أنعم من نعمة الإسلام ولذا أحلى من لذة الإيمان

ومتعة أفضل وأعظم متعة الأنس بالله جل وعلا ودرجة أعلى من درجة
الولاية.

آه لو عرف الناس هذه الأسرار وأدركوا هذه الأخبار واطلموا على هذه
الأنوار لباعوا لأجلها الغالي والنفيس ولذهلوا عن حاجاتهم فى دنياهم
وزهدوها إلى هذه المنة وتلك الخبرة وهذه الأسرار والأنوار ليحصلوا على
هذا النعيم المقيم وتلك الخبرة الدائمة والجنة الخالدة والسعادة التامة والراحة
الأبدية فى معاملة رب العباد والتجارة معه فهم بذلك أحياء ولا حياة
للقلوب والنفوس بغيرها لأنها حقاً مادة الحياتين الدنيا والآخرة ﴿وَأَنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فإن هذه السعادة
والنعيم والخبرة لا يستطيع أن يقطعها عليهم أو يهدمها أو يفسدها كائن
من كان لا جباراً ولا الموت نفسه لأن الموت لا يهدم محل معرفة الله فقلوب
الاولياء حية لا تموت خالدة سرمدية بمعرفة الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [النحل: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿قِيلَ
ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

وجاء فى الحديث الذى رواه البخارى: عن عبادة بن الصامت قال: قال
رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره
لقاءه: قالت عائشة أو بعض أزواجه (١) يا رسول الله إنا لنكره الموت. قال:
ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر بنعيم الله وكرامته فليس شئ

(١) رواه البخارى.

أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه» .

السر السادس المعاتبه

والمعاتبه لها فضل كريم إذ أنها صفة من صفات أولياء الله الصالحين وهى معاتبه النفس على ما فرطت فيه وقصرت من الطاعة وما سبق من الذنوب كما يفعل التاجر مع الشريك بعد المشاركة والمراقبه والمحاسبه والمعاقبه والمجاهدة يبقى له أخيراً أن يعاتبه على التفريط والتقصير عتاباً يرجوا منه إصلاحاً وإصلاحاً يرجو من بعده استقامه وإخلاصاً والعودة إلى الصواب فإنها تكون سبباً بإذن الله عن انتهاء النفس عن غيها وشرودها وتكون المعاتبه تذكرة لها بعدها وآية لها تقف عليها مقتدية متأسية عاملة للخير وجميع هذه الاسرار الستة هى أسرار الولى مع نفسه وأساليب لتربية نفسها وتقويمها لتقوم على المقصد الصحيح الذى خلقت له وهو العبادة .

ثانياً أسرار الأولياء مع الله

وأما عن أسرار الاولياء مع الله سبحانه فما أجمل الحديث وأحلاه وما أمتعته وأتقاه . إذ أننا سوف نعيش بإذن الله من خلال هذا المقام فى الجنة بعينها ننهل من خيرها ونقطف من ثمرها ونشرب من أنهارها ونكرع من حياضها ونلبس من حريرها وسندسها ونتحلى من ذهبها وحليها، سوف

نعيش بفضل الله تعالى فى هذا المقام فى جنة الاسرار الخالدة وجنة الحب الدائمة والمتصلة بين العبد وبين مولاه سبحانه عبر هذه الوريقات من خلال سردنا وكشفنا لهذه الاسرار الطيبات المباركات .

فكما ان للعبد اسرار مع نفسه لتقويمها بعدها زاداً لآخرته وبرهاناً لمحبتة ربه آملاً أن تكون له سفينة نجاته وقربه لمولاه وسبباً لعلو درجته وإرتفاع مكانته من الله سبحانه فإن له أيضاً مع مولاه الحق سبحانه أسرار بل أنوار كريمات جليلات عظيمات ونذكر منها سبعة أسرار وهن :

- ١ - سلامة القلب .
- ٢ - سلامة الإسلام .
- ٣ - سلامة الإخلاص .
- ٤ - سر الإلهام ..
- ٥ - سر الحكمة والفراسة .
- ٦ - سر الهيبة والوقار .
- ٧ - سر السعادة وراحة البال .

السر الأول

سلامة القلب :

يجب أن يعلم كل موحد سالك هذا الطريق طريق الحق على أوامر سيده ومنهج نبيه ﷺ أن يعلم بأن سلامة القلب هى النقطة المركزية، والمرتبة العالية، والدرجة الاولى فى التعرف على الله تعالى وخشيته ومعاملته وسلامة القلب بداية رحلة طويلة مديدة آخرها الجنة بإذن الله تعالى والفوز العظيم والقلوب هى محل معرفة الله تعالى وخشيته

وسلامتها هي من أهم ما يجب السعى إليه والحرص عليه لأن بسلامة القلب ينمو قدر العبد عند ربه وتعلو درجته وحيث أن الفوز والفلاح الآخرون موقوف على سلامته كان الاهتمام بذلك واجب يقول الحق سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. فقد قال ربنا قولاً فصلاً حكماً عدلاً بأن المال والبنون أيما كانا لا ينفعان العبد ما كان قلبه خرب أو مشوب بحب الدنيا والركون إليها وهذه المهمة مهمة إصلاح القلب مهمة صعبة تحتاج إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. فيتحلوا بالصبر والمثابرة والمراقبة في ميدان الشهوات والمحوبات ويرفعوا رايه نصر دفعهم المكروهات لأجل إصلاح قلوبهم.

ونظراً لأن هذه المهمة هي مهمة الرجال فقد اعتنى بها واتصف بها أنبياء الله ورسله وها نحن نقرأ في كتاب الله تعالى عن جهيدٍ من جهابذة الرجال وعملاقٍ من عمالقة إصلاح القلوب قام بهذه المهمة حسن قيام وتحمل لأجلها المشقات وكيد المكيدين له.

لأنه قدر لها قدرها وعرف مدى فضلها وجميل أجرها فسعى إليها فمدحه المولى في كتابه العزيز وذكرى سعيه في إتمام مهمته هذه في كتاب يتلى إلى يوم القيامة ألا وهو خليل الله إبراهيم عليه السلام إذ مدحه ربه لما قام به من إصلاح لقلبه بعدما أثنى على نبيه نوح قال تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصفات: ٨٣، ٨٤].

وكان عليه السلام يعلم أن سلامة القلب ركن ركيز وأمر محتوم وقضية

لزمتم الوجوب فكان عليه السلام رغم سلامة قلبه إلا أنه كان يخاف عليه من التحول والفتنة أو التقصير في مهمته هذه فكان يدعو ربه في ذلك كما أخبرنا مولنا سبحانه على لسانه فقال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُغْتَوَّنَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩] فهذا خليل الله ونبيه إبراهيم وحرصه على سلامة قلبه وخوفه من التحول أو الفتنة ودعائه مولاه بالنجاة والحفاظ وعلى أن يحفظ عليه هذه النعمة نعمه سلامة القلب وكذا كل الأنبياء كانوا على هذا الدرب قاموا بذلك الدأب كانوا شغلهم الشاغل إصلاح قلوبهم وقد ورد عن نبينا محمد ﷺ أنه كان يقول في أكثر دعائه: اللهم إني أسألك قلباً سليماً.

ثانياً: مما يسلم القلب:

جاء في الجواب الكافي لابن القيم في سلامة القلب ما مختصره. ولا تتم له سلامة مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك ينقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى ينقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفراداً لا تنحصر، انتهى. ويسلم القلب أيضاً من «أم الخطايا»، وهي أخطر شيء على القلوب وهي الغفلة، فما من خطيئة إلا ونسبتها إلى الغفلة فإنها ما إن تحل في قلب صاحبها إلا ولدت فيه أولاداً، كل ولد لها أخطر وأشد على القلوب من الآخر، ونذكر منها الشرك. وعليه الشك والنفاق والرياء والكبر والحقد والحسد والعجب والغل والخيلاء والمكرواخذاع وكلهم نسبة إلى الغفلة.

وقد ذم المولى سبحانه وتعالى الغفلة ذمّاً شديداً ونهى عنها رسول الله

عَلَيْهِ وَعِبَادُ اللَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾

[الأعراف: ٢٠٥].

وبين سبحانه أن النار جعلت لهؤلاء الغافلين والمشركين بسبب الغفلة فسوف يذوقوا أشد العذاب سبب غفلتهم عن الله وسبب استغنائهم عن عقولهم وتعطيلها عن التفكير من عظمة الله وتعطيلهم قلوبهم من التدبر والخشية وكذا أبصارهم وأسماعهم من النظر في آيات الله وسماع ذكره فصاروا مثل البهائم والحيوانات بل هي أعقل منهم وهم أضل منها فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] وقوله تعالى عن آل فرعون الغافلين: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧] وقوله تعالى ناهيا عن طاعة وإتباع أهل الغفلة أو حذو طريقهم ﴿وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٧].

فمن خلال هذه الآيات الكريمات المباركات يتبين لنا أن الغفلة خطر على القلوب عظيم ومرض خبيث يفتك بالقلب وصاحبه تدريجياً وأول ما تلد الغفلة في قلب صاحبها تلد إتباع وحب الهوى

لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أى دماراً وشتاتاً وضياعاً.

٢ - ضلاله عن سبيل الله .

٣ - نسيان يوم الحساب .

٤ - عبادة الهوى من دون الله تعالى .

ففى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] جاء فى تفسيرها أنها نزلت هذه الآية فى عُيَيْنَةَ بن محصن وأصحابه وكان من سادة مضر وأشرافها فلما كلمهم الرسول فى الإسلام دخلوا عبيه وعنده جماعة من الفقراء وكان منهم سلمان الفارسى وكانوا يلبسون وضيع الثياب فقال له أما يؤذيك ريح هؤلاء؟ فنحن سادة مضر وأشرافها وإن أسلمنا أسلم كل الناس ولكن ما يمنعنا من الإسلام واتباعك؟ هؤلاء الفقراء فنحهم عنك؟ أو اجعل لنا مجلس ولهم مجلس فنتبعك فلما هم الرسول أن يجيبهم نزلت عليه هذه الآية ﴿وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ فإنه لا بسبب اتباع الهوى يصير الأمر شتاتاً وضياعاً ودماراً وضياعاً وقد ورد فى الحديث الصحيح يؤيد ذلك الكلام عن النبى ﷺ أنه قال: « ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه » فهذه واحدة أما الثانية والثالثة وهما الضلال عن سبيل الله ونسيان يوم الحساب فقد جاء فى القرآن الكريم تحذير شديد ونهى أكيد من الله جل وعلا لنبيه من أنبيائه وهو داود ما ملكه وخليفة فى الأرض عن اتباع الهوى وبين له أنه يضلّه عن سبيل الله وينسيه يوم احساب ويؤدى بمن فعل ذلك إلى العذاب

الشديد يوم القيامة فقال تعالى فى سورة ص ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ فلو أننا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة نجد أن الخطاب من الله تعالى إلى نبي من أنبيائه وخليفة فى أرضه على عبادة فيها أن يغده ملكه ويلهه التكاثر فى ما آتاه . فيشغله عن ربه وينسيه ذكره فيضله عن سبيل الله وينسيه يوم الحساب فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فيضلك عن دين الله القويم وشرعه المستقيم . وذكر سبحانه جزاء وعقاب من كان هذا هو حالهم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ لماذا صار العذاب شديداً وصاروا فى أشد الكروب والأحوال فى قرار النار لأنهم نسوا يوم الحساب ولو آمنوا لأعدوا له الزاد ليوم المعاد وكل هذه المصائب والمهلكات بسبب اتباع الهوى الذى هو وليد الغفلة .

واتباع الهوى يوصل إلى الكفر والعباد بالله والشرك بالله لقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ يحذر فيها من اتباع الهوى ويبين سوء عاقبته وأن متبع هواه أشد عذاباً وأقبح ذنباً عند الله من عبادة الأصنام الشمس والقمر والدواب فقد ورد فيما رواه الطبراني فى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تحت ظل السماء

من إله يُعَبَّد أعظم عند الله من هو متبع» (١).

وأما عن جزاء فضل من خالف هواه وابتغى في هذه المخالفة طاعة مولاه وطاعة رسول الله ﷺ فإن أجره عظيم ولو كشف له عنه في دار الدنيا لهانت عليه الدنيا بما فيها ولتأهب بذلك لهذا الأجر العظيم فقد أخبرنا عن ذلك المولى سبحانه فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

ماذا إن لم يسلم القلب أو تهاون صاحبه في سلامته؟ جاء في الجواب الكافي لابن القيم في بعض عقوبات المعاصي للقلب الغافل ما مختصره.

١ - الختم على القلب :

الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار والاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والدين عليها والطبع وتقليب الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه وإغفال القلب عن ذكر الرب ونسيان الإنسان نفسه وجعل الصدر ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء و زيادة مرض القلوب وإركاسها وإنكاسها وإركانها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه انه قال : القلوب أربعة: فقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أغفل فذاك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، وقلب تمده مادتان مادة إيمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منها.

(١) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمام .. البلامى .

٢ - خسف القلب .

ومنها الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به إلى أسفل السافلين وصاحبه لا يشعر وعلامة الخسف به أنه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والردائل كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالا حول العرش وقال بعض السلف إن هذه القلوب جواله فمنها ما يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحش

٣ - مسخ القلب :

ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة فيصير القلب إلى قلب الحيوان الذي يشابه الإنسان في فعله فمن القلوب ما يمسخ علي قلب خنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ علي خلق قلب كلب أو حمار أو حية أو عقرب وغير ذلك .. وهذا تاويل سفيان بن المغيرة في قوله « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم » قال منهم من يكون علي أخلاق السباع العادية ومنهم من يكون علي أخلاق الكلاب والخنازير وأخلاق الحمير ومن يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه ومنهم من يكون بليدا كالحمار ومنهم الحقود كالجمل ومنهم من يروغ كما يروغ الثعالب وهلم جرا .

٤ - نكس القلب

ومنها نكس القلب حتي يري الباطل حقا والحق باطلا والمعروف منكرا والمنكر معروفا

٥- وهى الأشد (حجب القلب عن الرب) سبحانه

ومنها حجاب القلب عن الرب في الدنيا والحجاب الأكبر يوم القيامة
كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ
رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ﴿[المطففين: ١٤، ١٥]

فهذه كلها داءان خطيرة تصيب القلب الغافل المتهاون في اصلاحه
صاحبه وقد صدق الله إذ يقول: ﴿يوم لا ينفع مالا ولا بنون إلا من أتى الله
بقلب سليم﴾

السر الثانى

سلامة الإسلام

والمقصود بسلامة الإسلام هو تحقيق الإسلام قولاً وعملاً خالصاً لله جل
وعلا في الفرد.

تجريد التوحيد لله سبحانه كما ينبغى علي العبد وكما يرضى الرب
سبحانه فليس الإسلام مجرد كلمات يتلفظ بها العبد كل يوم وهو لا يعي
أو يدرك حقيقتها أو جوهرها أو لا يقدر لها قدرها ولكن أن يتعرف العبد
أو لا علي حقيقة الإسلام ثم يطبق ذلك قولاً وعملاً خالصاً لله جل وعلا.
ويجب أن يتعرف كل مسلم ما هي أركان الإسلام وما هي نواقضه
ليقوم بأركانه ويتحرى لنفسه ويتق الله ما ينقض إسلامه.

والسعي لهذا المقصد سعي مبارك وجهد مقبول إن شاء الله وذلك نظراً
لأنه مطلباً صحيحاً للعلم النافع الموصل إلي خشية الله تعالى وحسن
عبادته وهو تحقيق الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله فهي
الأصل الذي يبني عليه كل الأركان.

جاء في الجواب الكافي ما مختصره « في كلمة لا إله إلا الله » وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض الله علي جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهو المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذي لا يصل إلي الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام وبهذا انقسم الناس إلي شقي وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهي العمود الحامل للفرائض والسنة « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (١).

أما عن حقيقة الإسلام فهي

١ - أنه دين التوحيد بوجود إله خالق واحد مستحق للعبادة وحده دون سواه.

٢ - الإسلام لا يفرق بين الرسل وإنما يجمع بينهم وخاتمهم محمد صلي الله عليه وسلم.

٣ - الإسلام دين واضح وبَيِّن وكامل فهو لا يؤمن بالخرافات والمعتقدات الفاسدة والفلسفات المعقدة.

٤ - الإسلام دين النظام للحياة البشرية في مختلف مجالاتها.

٥ - الإسلام لا يفصل بين المادة والروح فصلا كاملا.

(١) البخارى ومسلم فى الصحيحين.

٦- الإسلام عقيدة قبل أن يكون شريعة.

٧ - الإسلام يدعو إلى العلم ويشجع على التطور العلمى النافع^(١).

فهذه كلها حقائق قد أقرها الإسلام وهى المفهوم الصحيح فى الإسلام وأما عن أركان الإسلام فهى خمسة أركان بل خمسة أعمدة ودعائم وجب على كل مسلم القيام بهن جميعهن وهذه الأركان الخمسة وردت فى الحديث المشهور الذى ذكره النووى فى الأربعين وذكره ابن رجب الحنبلى المقدسى فى جامع العلوم والحكم وهو موجود فى الصحيحين البخارى ومسلم عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»^(٢)، قال صاحب الأربعين وهؤلاء الخمس من أتى بهن فقد آتم إسلامه كما أن البيت يتم بأركانه كذلك الإسلام يتم بأركانه وقال ابن رجب والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبنى على هذه الخمس فهو كالبيت لا يتم بناؤه إلا بأركان وأعمدة، فالإسلام البيت والخمسة أركان أعمدة هذا البيت، فإذا هدم منها ركن واحد هدم البنيان قال وهو قائم لا ينقض ذلك بخلاف نقص الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول فقدها جميعها بغير أشكال»^(٣).

(١) راجع كتيب توجيهات إسلامية للفرد والمجتمع.

(٢) مراجع كتيب توجيهات إسلامية للفرد والمجتمع.

(٣) ذكره الإمام النووى فى أربعين (ص ١٦ / ح ٣) وأخرجه فى الصحيحين من رواية

عكرمة بن خالد بن عمر رضى الله عنهما وخرج حديثه أيضاً أحمد فى المسند (٤ / ح

٦٤) لإسناده صحيح.

ولهذا الإسلام نواقض إذا فعل العبد منها واحدة انتقض إسلامه وهي :-

١ - دعاء غير الله بقصد العبادة والقربى كدعاء الانبياء والاولياء والملائكة والإنس والجن لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، وقول النبي ﷺ فيما رواه البخارى فى صحيحه : « من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار » .

٢ - إنكار ركن من أركان الإسلام المعروفة كالصلاة والزكاة والصوم والحج أو إنكار ركن من أركان الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

٣ - اشمئزاز القلب أو شكه أو ظنه فى توحيد الله جل وعلا لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥] .

٤ - الاعتماد والتوكل على غير الله لقوله سبحانه : ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : ٨٤] .

٥ - الطواف حول قبر أو ضريح أو غيره بنية التعبد لانه لا يجوز إلا بالكعبة لقوله سبحانه : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

٦ - النذر لمخلوق غير الله بنية التقرب العبادة له لقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي

نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿﴾ [آل عمران : ٣٥].

٧ - الاستهزاء بشيء من القرآن أو الحديث الصحيح والرسول أو المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿﴾ [التوبة : ٦٦].

٨ - الإيمان ببعض الكتب إنكار بعضها أو ببعض الرسل وإنكار البعض لأن ذلك يوجب الردة عن الإسلام لقوله تعالى : ﴿ أَقْضَىٰ مُنُونٌ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥].

٩ - الارتداد عن الدين لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾.

١٠ - إنكار اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله الثابتة في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

فهذه بعض نواقض ومبطلات الإسلام الذي اكتفيت بسردها رجاء البعد عنها وعدم الوقوع في واحدة منهن فإن سلامة الإسلام في تحقيق الإسلام قولٌ وعملٌ وتحقيق الإيمان قولٌ وعملٌ والبعد عما ذكرناه من مبطلات الإسلام والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

السر الثالث

سلامة الإخلاص

والمقصد بسلامة الإخلاص هو تحقيق الإخلاص لله وحده مع المحافظة والمعاهدة عليه قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ومعنى الإخلاص هو الصفاء والنقاء من أى شوب يشوبه كصفاء اللبن الخالص فنقول لبين خالص: أى نقى وصافى من كل شوب يغيره من خلاصة ونقول دين خالص أى دين نقى صافى ليس فيه شوب يشوبه ويغيره يقول الحق سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الدِّينَ الْخَالِصُ﴾، والإخلاص فضله عظيم وأجره جزيل إذ أنه من مقامات السالكين ومطية الناجين وذخر للمحققين. والإخلاص لكى يتحقق فى العبد فله شروط هى: -

١ - النية .

٢ - العمل .

٣ - تحقيق العمل به .

فإن العمل بغير نية عناء، النية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء قال تعالى: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، فيبدأ تحقيق الإخلاص من النية. والنية واجبة كما قال العلماء

وكرهوا التلفظ بها ويتبع النية العمل فيصير العمل إلى ما قد سُبقت عليه النية ثم يتبع العمل الإخلاص فيه وهو تنقية وتصفية وتمحيص ودفع كل شوب يشوبه كالرياء والسمعة والفخر والمدح والاعجاب ونحوه فلا ينبغي به إلا وجه الله وحده لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وحده لأنه أغنى الأغنياء عن الشرك ثم يتبع هذا الإخلاص التحقيق أى إشهار العمل وتحقيق الإخلاص فيه وخير الأعمال المخلصة ولو كانت قليلة فقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل عندما أرسله لليمن أخلص دينك يكفيك القليل من العمل .

والإخلاص يضاد الشرك فمن لا يخلص فهو يشرك والإخلاص خلاص النفس مما يأخذها عن الصفاء النقاء من المتعلقات المادية الذائفة إلى العلاقة الواحدة الوثيقة الخالصة لله وحده سبحانه .

وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفسى اخلصى وتخلصى وقال أبو سفيان طوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى، والمخلصين هم أقرب الناس إلى الله لأنهم لما قصدوا عبادته وطاعته وقدموا الأعمال صار كل منهم لا باعث عليه ولا مطلب له إلا فضيلة القرب من الله تبارك وتعالى فدأب يعمل جاداً مجتهداً لذلك المطلب ويصبر عليه صبراً جميلاً .

فصاروا فى جنة الإخلاص أحياء رجالاً أقوياء جعلنا الله منهم أجمعين آمين .

السر الرابع

نور الوجه وألفته

وهذا النور الذى يلقيه المولى سبحانه فى وجوه وقلوب أوليائه الصالحين إنما هو آية وعلامة من علامات محبته ورضاه سبحانه عليهم .

ومن حكمة الله فضله أن ذلك النور الربانى يكون ظاهرى فى وجوه أوليائه فترى الواحد منهم مستتير الوجه كأنه القمر ليلة كماله بذلك ثابت فى الكتاب والسنة وفى الكتاب قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وكلمة سيماهم أى علاماتهم فمن ضمن علاماتهم التى تكون فى وجوههم علامة ما يلقيه الله من النور فتصير وجوههم معروفة مميزة مألوفة محبوبة لهذا النور وقد ورد فى الحديث رواه الطبرانى أن النبى ﷺ قال : « إِنْ لِلَّهِ عِبَادًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يُعْطَاهُمُ الْإِنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَخْبِرْنَا مِنْ هُمْ وَمَا أَعْمَالُهُمْ فَعَلْنَا نَحْبَهُمْ قَالَ هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا فَوَاللَّهِ إِنْ وَجُوهُهُمْ لِنُورٍ وَإِنَّهُمْ لَعَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤] .

وكان الحسن البصرى أسمر اللون إلا أنه كان شديد نور الوجه فلما سألوه عن ذلك النور الذى يروونه فيميزه على غيره بالوقار بمجرد النظر

فى وجهه وفى وجوه العارفين فقال لاننا خلونا بالله فى ليلنا اى بصلاة القيام فكسا الله عز وجل من نوره فى قلوبنا ووجوهنا فازدادت نوراً بنور الله وإن أهل الليل فى ليلهم هم قائمون الذ من أهل الله فى لهوهم وهم لاهون وكان رسول الله ﷺ وهو القدوة والاسوة الحسنة لنا كان ظاهر الوضأة شديد نور الوجه وكان وجهه مستتيراً كأنه القمر فى كماله .

السر الخامس

الإلهام

والإلهام سر من الأسرار المكنونة بين العبد وبين مولاه وخالقه سبحانه هذا السر يهبه الله من يشاء من عباده لمن أحب معنى الإلهام هو تحديث القلب كأنه يوحى إليه فقد يعلم مدارك الأشياء وخوارقها وذلك ثابت فقد تحدث عن الإلهام والملمهون المصطفى ﷺ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدَثون فإن يكن فى أمتى فإنه عمر » (١) ، رواه البخارى ومسلم وقال بن وهب « مُحدَثون » أى ملمهون .

ولقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر عن إلهام عمر رضى الله عنه فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : ما سمعت عمر رضى الله عنه يقول لشيء إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن » (٢) ، رواه البخارى .

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .

(٢) رواه البخارى وذكره النووى .

ومن الملهمين أيضاً وانددين سعدوا بفضيلة الإلهام صحابى جليل هو عبد الله أبو جابر بن عبد الله الراوى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة فقد حدث عن أبيه قال جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - لما حضرت أحد دعانى أبى من الليل فقال: ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ وإنى لا أترك بعدى أعز علىّ منك بعد نفس رسول الله ﷺ وإن علىّ دين فاقض واوص بإخوتك خيراً فأصبحنا فكان أول قتيل ودفنت معه آخر فى قبره ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذ هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته فى قبر على حدة^(١)، فى ذلك الحديث يتبين لنا من كرامه الإلهام أن هذا الصحابى ألهم أو حدث بثلاثة أشياء: -

- ١ - أنه سوف يقتل فى غزوة أحد .
- ٢ - أنه سوف يكون أول قتيل فيها .
- ٣ - أن ولده جابر لن يقتل فى الغزوة بالرغم من أنه سوف يخوض معه المعركة ويقاتل .

السر السادس

الحكمة والفراصة وهى الذكاء

يقول الحق سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحكمة شيان جليلان كريمان هما العلم والتفقه فى الدين، والحكمة فى الكلام هى أن يقل لفظه ويعظم معناه

(١) رواه البخارى .

والحكمة فى العمل بذل القليل وحصاد الكثير ومن فضل الحكمة أنها تحيى القلوب الميتة كما تحيا الأرض بالماء .

عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لقمان قال لابنه يا بنى عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر » رواه الطبرانى فى الكبير والترمذى بإسناد حسن . والفراسة هى المهارة فى معرفة بواطن الأمور من ظواهرها .

السر السابع

السعادة راحة البال

لان السعادة تكون فى الإيمان والإيمان يكون فى القلب والقلب لا سلطان لاحد عليه إلا الله فإن المؤمن ترتفع لديه درجة الإيمان فترتفع معها درجة السعادة لان نسبة السعادة علوها على قدر نسبة الإيمان فكلما ازداد المؤمن إيماناً كلما ازداد سعادة وراحة بال وفطن نية .

الفصل الخامس

شروط الولي

إن كلمة ولي الله ليست مجرد كلمة سهلة أو صفة عابرة تتلفظ بها الألسنة وتتفوه بها الشفاه ولكن لها شروطها التي توجب مدلولها فإنها كلمة لا تقال لعبد من عباد الله إلا إذا قام بحقها وأدى شروطها وصبر على تحقيقها صبر العارفين بقدرها الموقنين بفضلها الساعين لنولها فإن للولي شروطاً بها تتحقق درجة الولاية كاملة ما فعلها عبد من عباد الله وقام بها إلا حقُّه أن ينال درجة الولاية وأن يحظى بها خالصة له ولا يصبح بفضل الله ومنته واحدٌ من أولياء الله وخاصته في الأرض وهذه الشروط ليست كما يزعم المغالون في الأولياء والصالحين والمطربين لهم إطرأً يصل بهم إلى الشرك والعياذُ بالله كما يقول بعضهم في غلوه وإطرائه في الصالحين مثلاً إن هذا الولي قد رُفِعَ عنه التكليف وإنه يُشْفِي المرضى وَيُصِيبُ بالنقمة ويفعل ويفعل والحقيقة أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من محض نفسه لأنه ليس إلا عبداً مهما علت درجته ومنزلته عند الله فهو عاجز عن النفع والضرر وعاجز عن القدرة على فعل الأشياء إلا بأذن الله لأنه واحد من الكل والكل فقير إلى الله فقير إلى قدرته فقير إلى عفوه فقير إلى كرمه وجوده وعطائه.

وإن كان المزعوم بالقدرة على النفع والضرر والاطراء هذا ولياً حقاً فإنه قد نفع بولايته نفسه وقُبِضَ لشوابه قالوا جب الاقتداء به والتشبه بسيرته وحسن عبادته وإن كان غير ذلك سواء كان فاجراً أو مبتدعاً أو عاصياً فإن

المصيبة عظيمة والامر خطير يحتاج إلى توبة نصوحة لكل من ذهب إليه وطلب منه رجاء دفع ضر أو جلب نفع.

ومنه قول بعضهم إن هذا الولي قد وصل إلى درجة أعطى فيها مقاليد بعض الأمور فهو يتصرف في بعض الكونيات كيف يشاء مثل ما يتصرف الله فهو يختار ويقدر بمشيئته ويشهد الله أن هذا افتراء وضلال مبيناً لأن الله تعالى يقول: ﴿له مقاليد السموات الأرض﴾ وترى رجلاً بينهم لا يصلى ولا يصوم ولا يفعل شيئاً من أعمال الإسلام ورغم ذلك يقبلون يده ويهرعون إليه ويتبركون به فإذا سألتهم من هذا؟ ولماذا تفعلون هذا؟ لقالوا لك: إنه ولي من أولياء الله الصالحين ونحن نلتمس منه البركة فإذا قلت إنه لا يصلى ولا يصوم ولا يفعل من الإسلام شيئاً لست الاجابة فى قولهم إنه رجل قطب او يختلف عن الناس وانه وصل إلى درجة اليقين المذكورة فى كتاب الله ﴿واعبد ربك حتى ياتيك اليقين﴾ وهذا الولي قد وصل إلى علم اليقين فقد رفع عنه التكليف وعفى من مؤنة العبادة ونسى هؤلاء الصنف من الناس الملتبس عليهم أن الآية يقصد باليقين فيها (الموت) وضنوا أنها درجة عالية من القرب إلى الله والعبادة ثم إنه المقصود بها والمخاطب بها رسول الله ﷺ ورغم ذلك ظل يعبد ربه إلى أن فارق الدنيا ولم نسمع أنه توقف عن العبادة عند درجة معينة وقال لنا: اعبدوا انتم فانا قد وصلت وصلوا انتم فإننى قد صليت ولم نسمع عن أحد من أصحابه من بعده فعل ذلك، ونسمع فى الولي والولاية كثيراً من القيل والقال وكثرة الجدل الذى ما أنزل الله به من سلطان.. ونحن بإذن الله تعالى فى هذا الفصل نرد على هؤلاء المتقولين المبتدعين ونرد على خرافاتهم وخزعبلاتهم بالحجة والدليل من الكتاب والسنة سائلين الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا هذا

الجهد اليسير وأن يجعله جهداً طيباً مباركاً وعلماً نافعاً ويلسماً شافياً
للقلوب الجريحة والنفوس العلية وأن يزيد به المؤمنين إيماناً على إيمانهم
إنه سبحانه هو ولي ذلك و القادر عليه وحده .

ونذكر من هذه الشروط التي يجب أن تتوفر في أولياء الله الصالحين
الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بعض الشروط المهمة والتي
بدونها تسقط الولاية وتقدح فيها .

١- الإسلام

فلا ينبغي أن نقول نال درجة الولاية لله غير المسلم لان الولاية هي موالاة
الله بالطاعات والقربات والتحبب إليه بالنوافل والفضائل وغير المسلم قد
هدم وسد الطريق الموصل لذلك بعدم إسلامه وعدم إسلامه يقدح في
ولايته ويبعدها أصلاً لأنه فاقد للجوهر فكيف بالفرع ومن قال غير ذلك
فقد افترى إثماً مبيناً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . [آل
عمران : ١٩] . وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

٢- العقل

لان الوصول إلى درجة ومنزلة الولاية عن طريق العلم والعمل لانها
درجة علم وعمل وغير العاقل ليس له حظ في ذلك . فكيف يتعلم؟
وكيف يعمل؟ وقد تعطل لديه جهاز الاستقبال العلمى، العقل، وتعطل
أيضاً لديه جهاز الإرسال العلمى والهدف والمقصد الباعث لذلك .

٣- الإيمان بشرطية التصديق والعمل .

لان الإسلام فقط هو درجة عوام الناس ولكن الإيمان وما بعده
لخواصهم عند الله عز وجل جعلنا منهم .

٤- الإخلاص بشروطه النية والعمل والتحقيق .

لانه درجة المتقين وعبادة المقربين وهو أعلى من درجة الإيمان .

٥- الإحسان

وهذه الدرجة هي درجة الصديقية ودرجة الصديقية هذه درجة صعبة
المنال لا يؤتاها إلا من وفقه الله إليها من الأولياء العالمين العارفين المقربين
من رب العالمين .

٦- التقوى

وهي الخوف من الله والعمل بكتابة والرضا بقضائه والاستعداد للمقائه
سبحانه ولأنها درجة أولى الألباب ﴿ واتقون يا أولى الألباب ﴾ .

٧- التدرج بالنفس

من الشهوانية الامارة إلى الروحانية اللوامة ثم الملكية ثم الربانية
المطمئنة .

٨- مؤثرة حب الله ورسوله وطاعتهما على كل المحبوبات وكل الطاعات .

لان فى ذلك النجاح والفلاح الدنيوى والاخرى بإذن الله تعالى

٩- يأتى ذلك كله خالصاً فى القلوب بالحقيقة بكثرة ذكر الموت
والاستعداد له لانه هو الراعظ والخطب الافطع والكأس التى طعمها
أكره وأبشع . ولانه هو مكدر اللذات ومفرق الجماعات وقاطع
الامنيات . ولانه آت لا مفر منه وهو لا يقرع باباً ولا يهاب حجاباً ولا

يقبل بديلاً ولا يأخذ كفيلاً ولا يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً.

١٠- مجالسة العلماء والصالحين والبعد عن مجالسة الفجار الفاسقين لانه في مجالسة الصالحين زيادة الإيمان والترقى بالروح إلى عالم الروحانيات والإيمانيات ومجالسة الفجار والفاسقين تهبط عزمها وتشتت أمرها وتنفس القلوب فتجعلها جامدة عند ذكر الله وتعرض بها للنفاق من كثرة القيل والقال في أمور الدنيا.

١١- الزهد في الدنيا وعدم الحرص عليها وطلبها والسعى إليها ومؤثرة ذلك على أوامر الله ورسوله ففي ذلك الندامة والحسرة لأن حب الدنيا رأس كل مصيبة ووراء كل ندامة و يريد كل مهلكة.

١٢- الحمد في الضراء والشكر في السراء لأنها صفة المؤمنين يقول النبي ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد غير المؤمن إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابه سراء شكر فكان خيراً له» (١).

١٣- ذكر الله والفرار إليه.

إذا اقترب العبد ذنباً أو عاجل دنيا ليصيبها فرأى إلى ربه وذكره وتاب إليه وأتاب فاستغفره من ذنبه وتلتمل إلى ربه رجاء عفوه ومغفرته قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ١٣٥]. وقوله تعالى : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات : ٥٠].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرفائق برقم ٢٩٩٩١.

١٤ - موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه

فيوالى المؤمن إخوانه المؤمنين وبعضهم أولياء بعض ويمعادى أعداءه من المشركين والملحددين والشيوعيين والمبتدعين وعلى رأسهم أعدى الأعداء إبليس وجنوده عليهم لعنة الله فلا يعطهم الفرصة سانحة للإغواء والصد.

١٥ - تجنب سماع ما يكره المولى سبحانه ويكرهه رسوله من لهو الحديث.

من السماع الشيطاني كالغناء والمزمار والموسيقى فإن فى سماع ذلك كله فتنة القلب وصدوده ونفاقه وكذبه وضلاله أعاذنا الله .

١٦ - التواضع لله فى أرضه لعباده وعدم التكبر والتجبر .

١٧ - حب المساكين والدين منهم ورفض وإنكار الطبقة والحزبية .

١٨ - القول بالحق والصدق ولو كان مرأ .

١٩ - ديمومة ذكر الله ففيها طمأنينة القلب ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
[الرعد : ٢٨] .

٢٠ - الصبر وتحمل المشقات فى سبيل المحبوب الأول سبحانه وتعالى وحب رسوله ﷺ .

فهذه بفضل الله شروط يجب أن تتوافر فى الولى من أولياء الله فيها تعلق درجته وتقوى من عزيمته ويتعرف بالحقيقة على مولاه سبحانه فإذا قام بهن كانت له كرامات، فإن لاولياء الله الصالحين الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كرامات نذكرها .

الفصل السادس

كرامات الأولياء

إن الله تبارك وتعالى أكرم من جاد وأرحم من رحم وخير من ابتغى إليه المقصد فإنه لا ينسى أوليائه فهو معهم حيث كانوا يحب أن يسمع دعاءهم ويرى بكاءهم ويسمع شكواهم إليه في دجى الليالى فيكرم وإذا أكرم فإنه يكرم بالأعظم والأفضل فإن الولي له مع مولاه حال لم تكن مع غيره فتراه وهو يخاف الزلل ويتقى الفتن يقوم إلى مولاه ليلاً طويلاً ويصوم له كثيراً وتراه وكأنه معصوم من الذنوب والآثام فيتعجب الإنسان العادى لما يراه من خلق وحلم وصبر وجهد هذا الولي كيف يصبر على شهواته ويدفع عنه نزواته وكيف لا يملّ من طول السهر والقيام وحده وكيف لا يتعب من كثرة الصيام وهلم جرا. وكيف يجمع بين مكابدة الطاعات والعصمة من الذلات.

ولكن نسي السائل أن هناك سبب بل أسباب غالية عظيمة سَهَرَتْ هذا الولي ليله وأحييت له قلبه وصومته تلك الأسباب نهاره وزادته إيماناً وحلماً وصبراً وجهداً وعملاً وإخلاصاً وهذه الأسباب هي ما يراه الولي من قبل مولاه من الكرامات فإنه كلما عرضت عليه كرامة زادته في الله حباً وشوقاً وعلماً وعبادة فتأبى عينيه النوم ويتجافى جنباه عن المضجع فيقوم لمولاه ذاكراً آياته شاكراً لأنعمه مقدراً لهذه الكرامة التي حلت بوادى حاله مع مولاه.

وإن كل كرامة من هذه الكرامات لهى أحب إلى الولي من أولياء الله
الصالحين من كنوز الدنيا ومن كل ملذاتها وشهواتها لأنها تجعله سعيداً
حتى يغيب من شدة السعادة عن الوجود فيسبح طائراً بروحه في عالم
الإيمانيات والروحانيات فكيف ينسى أو يغفل عن الحبيب من عرف قدر
الحبيب واطلع على عظمته وقدرته في كل كرامة من كرامته التي من بها
على وليه هذا اللهم كيف؟ وأنشدوا يقولون .

إن الحمام ينوح من أثر النوى

وأنا أنوح مخافة الديان

يا واحداً في ملكه ماله ثان

يا من إذا قلت يا مولاي لباني

أنسى فتذكرنى في كل نائبة

فكيف أنساك يا من لست تنساني

وأنشد آخر

أنا لما علمت بأن قلبى فارغ

ممن سواك ملأته بهداك

وملأت قلبى منك حتى لم أدع

منى مكاناً خالياً لسواك

فجعل الله تلك الكرامات لأوليائه شحذاً لعزمهم وطمأنينة لقلوبهم

وتفريجاً عن نفوسهم وترويحاً لهم عن مشاق الحياة وضيقها وعنتها وتعبها ونذكر من هذه الكرامات وهى على نوعين: كرامات فى الدنيا، وكرامات فى الآخرة. ونحن فى هذا الفصل نعى كرامتهم الدنيوية، والأخوية فقد أخبرنا عنها المولى سبحانه فى كتابه قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ (٤٥) يَبْقَاءُ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿ [الصافات ٤٠ : ٤٩]. فهذه كرامات عظيمة فى الجنة. أما الكرامات فى الدنيا فنذكر منها: -

١- كرامة الحفظ

فكرامة الحفظ يكرم الله جل وعلا أوليائه وخاصة بكرامة الحفظ يحفظهم من الدلل والخطأ من كيد المكيدين ومن السوء كله، ويحفظهم حفظاً برعايتهم فيصنعهم على عينه قال تعالى لنبيه موسى: ﴿وَلَتُصَنِّعَ عَلَيَّ غِيثِي﴾ [طه : ٣٩] وقال أبو الطيب البخارى فى عون البارى «ومن شروط الولي يحفظه الله بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواجهة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعى إلى الباطل برجله فهو فى معية ربه» وذلك مصداقاً للحديث القدسى عن رب العزة «كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، فطوبى لعبد كان فى حفاظة ربه فوالله إنه لمحفوظ ومجبور».

٢ - كرامة النصرة

كفى ولي الله كرامة وشرفاً وعزاً بأن الذى يتولى نصرته والدفاع عنه والانتقام له ليس بشراً مسبباً ولا غنياً ولا قوياً ولا ملكاً ولا سلطاناً إنما الذى يتولى ذلك كله هو خالق هؤلاء جميعهم ومليكمهم ربهم فهو سبحانه بنفسه يتولى نصرة وليه والدفاع عنه والانتقام له وذلك لفضل الولي عند ربه وببركة حبه وقربه له جاء فى عون البارى فى قوله تعالى فى الحديث القدسى : « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » أى أعلنته أننى أنا المحارب له أى أعمل ما يعمل المحارب من الإيذاء ونحوه قال وفيه تهديد شديد فمن حاربه أهلكه وقال الفكهاني هو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه وجاء فى حديث ميمونة « فقد استحل محاربتى » - فسبحان الله - انظر أى شقى هذا الذى أوقع بنفسه إلى محاربة ملك الملوك بل أوقع بها إلى شر مهلك بسبب تجرئه على الله فى وليه بمعاداته وأى سعيد هذا الذى تولاه الله بالرعاية والنصرة والحفاظ ودفع الكيد عنه فإن من كان هذا حاله مع الله فطوبى له فقد وصل إلى درجة القرب من الله وقوله سبحانه فى الحديث القدسى : « ولئن استعاذنى لأعيذه » أى مما يخاف .

وجاء فى حديث أبى أمامة رواه الطبرانى والبيهقى فى الذهب « إذا استنصرنى نصرته » .

٣ - كرامة إجابة الدعوة لقوله تعالى :

« ولئن سألنى لأعطينه » فإذا أولياء الله قد فازوا بكل خير ونالوا كل

قرب من الله سبحانه فإذا دعا الولي منهم ربه ومولاه فى ضرر أو جلب نفع أجابه ربه لذلك فى الحال وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم بأهل الجنة قالوا : بلى يا رسول الله قال : كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره » وفى هذا الحديث بيان بأن هؤلاء الصنف من الناس هم أهل الجنة وقد بدأ النبى ﷺ حديثه بالآ وهو حرف استفتاح ليستدعى بها فهم وذهن المتلقى ويستدعى بها انتباهه وذلك للتشويق والترغيب الشديد لما فى الكلام من الخير والطاعة والامتنال له ، والضعف المقصود به فى هذا الحديث ليس ضعف البدن وهزله ومرضه ولكن المقصود به التواضع ولين الجانب للآخرين لأن الحديث الآخر يقول فيه المصطفى ﷺ : « المؤمن القوى خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » وروى الحاكم فى مستدركه عن أنس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال : « كم من ضعيف متضاعف ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن عاذب » (١) ، وأن البراء لقى زحفاً من المشركين فقال له المسلمون أقسم على ربك فقال أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فمَنَحَهم أكتافهم ثم التقوا مرة أخرى فقالوا أقسم على ربك فقال أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم والحقنى بنبيك ﷺ فمَنَحَهم أكتافهم وقُتِلَ البراء رضى الله عنه .

وهذه أمثلة أخرى لبعض أولياء الله الصالحين الذين من الله عليهم بكرامة استجابة الدعاء ذلك من كتب الصحيح ذكر الإمام النووى وجاء فى رياض الصالحين .

عن جابر بن سمرة - رضى الله عنه - قال : شكى أهل الكوفة سعداً

(١) أخرجه البخارى .

« يعنى ابن أبى وقاص » - رضى الله عنه - إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستعمل عليهم عماراً فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن صلى فارسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى فقال: أما أنا والله فإننى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرج منها أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين وأخف فى الآخرتين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق وأرسل معه رجلاً أو رجلاً دخل مسجداً لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة فقال: أما إذا أنشدتنا فإن سعداً ما يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية قال سعد أما والله لادعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. وكان بعد ذلك إذا سئل يقول شيخ كبير أصابتنى دعوة سعد قال عبد الملك بن عمير الراوى عن جابر بن سمرة فانا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق فيغمزهن» (١) متفق عليه.

وعن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل - رضى الله عنه - خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئاً من أرضها فقال: سعيد ما كنت آخذاً من أرضها بعد الذى سمعت من رسول الله ﷺ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أراضين» فقال له مروان لا أسالك بينة بعد هذا قال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها فى أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما

(١) أخرجه البخارى (٢/ ح ١٧٥٥ فى الفتح) ومسلم (ح/ ١٥٨ والنوى فى رياض الصالحين ص ٣٥/ ١٥١٣).

هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت ، متفق عليه^(١) .

فانظر -يرحمك الله- إلى سرعة استجابة الله لدعوة الولي من أوليائه
فالحديث قبل السابق يبين لنا كيف نصر عبده ووليه سعد بن أبى وقاص
على المفترين عليه وأجاب دعوته فى أبى سعد الذى قام سمعة ورياء أمام
الناس يشهد زوراً ويتكلم بالكذب والافتراء على ولي من أولياء الله فأطال
الله عمره وأطال فقره وعرضه للفتن كما دعا عليه سعد بهؤلاء الثلاث .

والحديث السابق بين لنا أيضاً استجابة الله لدعوة وليه سعيد بن زيد فى
أروى بنت أوس التى افترت عليه وادعت أنه أخذ جزءاً من أرضها ظلماً
وزوراً وكيف أن سعيداً دعا عليها بالعمى والموت فى أرضها فلما عميت
بالفعل عرفت وأيقنت أنها ما عميت إلا بسبب دعوة سعد واستجابة الله
له لأنه على الحق وهى كاذبة عليه فكانت إذا سُئلت فى رواية أخرى لمسلم
عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أنه رآها عمياء تلتمس الجدر إذا
سئلت تقول أصابتنى دعوة سعيد ، وتحقق الشرط الثانى من دعوته وهو
الموت فى أرضها فقالوا إنها مرت على بئر فى الدار التى خاصمت فيها
فوقعت فيه فكان قبرها « فهذه كرامة إجابة الدعوة لكل ولي من أولياء الله
الصالحين مصداقاً لقوله : « ولئن سألنى لأعطينه » .

٤ - كرامة الخوارق (خوارق العادات)

والخارقة هى : ما شذ عن العادة وذلك أيضاً مما لا ياباه العقل ولا
الشرع ، وتكون الخارقة من الخوارق للولى كرامة وليست معجزة لأن

(١) أخرجه البخارى (٦ / ح ١٩٨ فى الفتح) ، ومسلم (ح ١٣٩) ، واللفاله أحمد فى
مسنده (٨٨ : ١٩٠) .

المعجزات انتهت بانتهاء النبوة وقد كانت في عهد الانبياء وخاتمهم محمد ﷺ، ولكن الكرامة ثابتة للولي في الدنيا وفي الآخرة كما ذكرنا آنفاً ونحن الآن في هذا المقام نعيش مع الولي في كرامات الخوارق للمعادات وهذه الخوارق تبين لهم أنهم على الصراط المستقيم وعلى الدرب القويم ونطقت لهم بلسان الحال تخبرهم عن مكانتهم من الله وحظهم من قربه وحبه ومرضاته ومع ذلك كله فهم لا يغترون بها ولا يفخرون على غيرهم ولا يتكبرون ولكن مازادتهم هذه الكرامات لإعبدادة الله وحباً وشوقاً، ولعباده تواضعاً وليناً ولاعدائه عداوة وحقداً وبغضاً، ولأوليائه موالاة وحباً وإخوة.

وهذه الخوارق من الكرامات جزاء بما صبروا لله مولاهم في دفعهم عن أنفسهم الهوى وكبح جماح شهواتهم، ومن أعمال البر والخير والدعوة إلى الله تعالى فإن الله عز وجل يمن عليهم ببعض الخوارق ليطمئن قلوبهم بالإيمان والصبر على الطاعات كما قال الخليل إبراهيم لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾. طلب أن يريه مولاه خارقة من خوارق المعادات له فقال له المولى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ كان سؤال إبراهيم لربه ليس سؤال عن شك منه في ذلك ولكن كان استعظاماً لقدرته ولكي يطمئن قلبه وليعلم أن الله منه قريب وأنه عنه راضٍ فقال له الله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمُنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فطمئنة القلب في طلب خارقة أو رؤيتها شيء ليس فيه تعدى ولا ملامة فرسلنا محمد ﷺ قال في حديث: «أن هذه القلوب تمل فروحوا عنا ساعة وساعة

فقد يكرم الله وليه بأنه مثلاً يبصر ويسمع أشياء لا يبصرها الناس ولا يسمعونها مثل أنه قد يرى غائباً أو يسمع بعيداً أو يحدث بوقع أمر قبل حدوثه كما ذكرنا آنفاً وقد حدث مثل ذلك بالفعل في عهد الرجال وعهد الإيمان والكرامات مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان قد أرسل بالجيش سارية وكان يخطب على المنبر فكشف الله له عن مسيرهم ورأى عدوهم قد جاء لهم من وراء الجبل في كمين لقتلهم فلما رأى سارية الجيش والعدو يأتي من خلفهم دون علم أن يروهم فقال: يا سارية الجبل الجبل فسمعوا صوته فنظروا من خلفهم إلى الجبل فوجدوهم فقاتلوهم وهزموهم بإذن الله وقصوا ذلك بعد النصر بأنهم انتصروا بفضل الله وبأنهم سمعوا صوت عمر يقول يا سارية الجبل الجبل. فادركوا عدوهم من خلفهم فهزموهم.

١ - خارقة الرزق بغير حساب.

فما من ولي عارف بالله تعالى واسترزقه عند ضيق رزقاً إلا ورزقه مولاه وذلك أمر قد ثبت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة: أما في القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢] وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْباً حَنِئاً (٢٥) فَكُلْ مِنْهُ وَأَشْرَبْ وَقَبْرِيَ عَيْناً﴾ [مريم: ٢٥-٢٦] فالله تعالى بمشيئته وقدرته البالغة يرزق من يشاء من أوليائه وخاصته الرزق بغير حساب ولا سيما رزق الماكل والمشرَب أو رزق المحبة

والقرب . ومن من الله عليهم بخارق الرزق بغير حساب خبيب بن عدى الصحابى الجليل وقد أخذ أسيراً عن سرية بعثها رسول الله ﷺ فى عشرة رهط وكان معهم خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وكان أميرهم عاصم ابن ثابت الأنصارى حتى إذا كانوا بالهواة بين عسفان ومكة وقد نفر عليهم قريب من مائة رام فاحتاطوهم وأسروهم ورفض عاصم أن ينزل على ذمة كافر منهم فقتلوه وقتلوا من معه وبقي خبيب وزيد بن الدثنة فباعوهم بمكة لاهل من قتلوا ببدر وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر فباعوه لبني الحارث فلبث خبيب عندهم أسيراً (مدة كان لا يأكل من طعامهم ولا يشرب من شرابهم، فلما أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موساً ليستحد بها فاعارته فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه يعنى (دخل على خبيب) فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففرغت فزعة عرفها خبيب فقال اتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك قالت والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب فوالله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديث وما بمكة من ثمرة وكانت تقول انه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب دعونى أصلى ركعتين: فتركوه فركع ركعتين فقال: فوالله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبقى منهم أحداً وقال:

ولست أبالى حيث أقتل ملسماً فى أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع^(١)

(١) رواه الإمام النووى فى الأربعين عن الدارقطنى .

فخارقة الرزق بغير حساب تأتي كما رأينا للمضطرب والمتوكل على الله سبحانه لأن في التوكل الرزق لقول النبي ﷺ عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً »^(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن وقال شارح النووى فى شرحه للحديث : « ومعناه تذهب أول النهار خماصاً أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً أى ممتلئة البطون ». ويقول الحق سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الاعراف : ٩٦] .

٢- خارقة المخرج من كل كرب وضيق بترتيب وتسبب من الله سبحانه لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ [الطلاق : ٢] فلو أن المؤمن الولي من أولياء الله كاده كل شيء وكادته السماوات والأرض وضيقوا عليه كل تضيق ثم اتقى الله جعل الله له من كل ضيق مخرجاً فلو أدخلوه فى بطن الجبال أو القوه فى قاع البحار ولو وضع فوق السحاب أو حبسوه فى قمقم وغلوه بالأغلال وظنوا أنهم قادرين عليه واتق مولاة لجعل له من بعد كل هذا الكبد ومن بعد كل ذلك التضيق الفرج والعلى الذى يجعل كل الخلائق تتعجب وتذهل له فسبحان الله القدير وذلك بدليل الآية السالف ذكرها .

(١) أخرجه الترمذى (٤/ ٢٣٤٤) وابن ماجه (٢ ح ٤١٦٤) والحاكم فى المستدرک (٤/ ٣١٨) فقال حديث حسن صحيح الاسناد .

٥- وأخيراً كرامة حسن الخاتمة.

وهى الموت على الإسلام وعلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهى أفضل كرامة وأعلى منة من الله على وليي يمنها عليه بأن يحسن له خاتمته فيلهمه سبحانه فى أواخر عمره وقبل موته بالعمل الصالح الذى يقبضه عليه سواء كان عمله جهاداً فى سبيل الله أو علماً أو يقبضه ساجداً أو راکعاً أو حاجاً أو معتمراً أو فاعلاً لنوع من أنواع البر الكثيرة.

أو يقبضه مشتاقاً هائماً فى حب مولاه ولقائه وحسن مجيئه فليس على ظهر الأرض أسعد ولا أفرح ممن حسن الله له خاتمته وقبضه على عمل صالح لأن بها الفوز العظيم والنجاة من العذاب الاليم ومن نار الجحيم.

وإنه لامقت شئ على العبد وأخطره وأقبحه وأتبعه أن يموت مفتوناً عن الإسلام عاصياً لرب الانام مخالفاً لأمره مضيقاً لشرعه ومخالفاً لسنة الحبيب محمد ﷺ ومضيقاً لسنة ومبتدعاً وظالماً لنفسه والعياذ بالله فإن حسن الخاتمة هى الموت على الإسلام وهى أكرم شئ يتمناه ويطلبه ويرجوه من الله كل الانبياء ومن بعدهم الصالحون الاولياء فإن شغلهم الشاغل هذه النقطة، وهى كيف يموتون وبماذا للقاء الحبيب يستعدون؟ وبماذا لمحبتة وعظمتة يقومون؟ فكلهم كانوا يطلبون الموت على الإسلام والتوحيد فقد أخبر المولى سبحانه فى كتابه أن الانبياء عرفوا هذه الكرامة -الموت على الإسلام- فآخذوا يوصون بها ذرياتهم من بعدهم واقوامهم فهذا خليل الله إبراهيم يوصى بها كما جاء فى القرآن قال تعالى على لسانه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا

تَمُوتُنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٢].

فهذه هي أغلى وصية وصاها نبي الله وخليله إبراهيم لبنيه من بعده ألا يموتوا إلا على الإسلام لأنه كان يعلم علم اليقين أن الموت على الإسلام هو حسن الختام وهو أكرم شيء للعبد وأنفعه. ومن بعده وصى بها أيضاً يعقوب عليه السلام قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٢] ووصى الله بها عباده فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٣].

وهي صبغة الله التي صبغ عباده عليها وفطروهم عليها ليس لهم سواها ولا يرضى لهم سواها وكلمة صبغة الله أى صار هذا الإيمان بالإله الواحد (الله) واعتناق الدين الحنيف لها ميزة حتى صارت كالصبغة في الثوب وليس هناك أحد أحسن من الله صبغة أى ديناً قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٨] وهذا نبي الله يوسف من بعدهم أيقن وعرف قدر هذه الكرامة - كرامة الموت على الإسلام وحسن الختام - فلم يَغْتَر بنبوته ولم يغره حسنه وملكه ولا علمه وإنما كان يخاف على قلبه الفتنة، ولم يغره حسنه وملكه ولا علمه وإنما كان يخاف على قلبه الفتنة والتحول عن نعمة وكرامة حسن الختام فكان دأبه مطلبها والسعى إليها وكان يسأل ذلك ربه قال تعالى على لسانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي

مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ [يوسف : ١٠١] وكان دائماً كثيراً ما يسأل ربه ذلك وقد روى عن النبى ﷺ عن (١) معاذ -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (٢) رواه مسلم وأنشد الصحابى الجليل خبيب بنى عدى يقول :

ولست أبالى حيث أقتل مسلماً فى أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرک وأبو داود وقال صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه .

خاتمة

الحمد لله الذى تتم بنعمه الصالحات ولا يخفى عليه شئ من أمر العباد إله واحد فى ملكه واحد فى ذاته واحد فى أسمائه واحد فى صفاته واحد فى خلقه لا إله غيره سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

عظيم فى خلقه عظيم فى ملكه عظيم فى قدرته عظيم فى تدبيره عظيم فى كل شأنه سبحانه لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مشاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى عنه سماء اسماء ولا أرض أرضاً ولا بحر ما فى قعره ولا جبل ما فى وعره خلق الخلق بعلمه وقدر لهم أقداراً وضرب لهم أجالاً وعلم ما هم عاملون به قبل أن يخلقهم فامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شئ يجرى بتقديره ومشيئته ولا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن تباركت وتعاليت يا ربنا سبحانه لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك لا راداً لقضائك ولا معقب لحكمك ولا إله غيرك.

ربى إني أتوجه إليك أستغفرك وأتوب إليك أستغفرك على هذا الجهد المقصود به وجهك الكريم فإنك تحب أن تُستَغْفَرَ على كل شئ على الطاعة وعلى المعصية كما تحب أن تُحْمَدَ على كل شئ على السراء

والضرا فيأني أحمذك وأستغفرك، أحمذك على ما وفقتني إليه في إتمام هذا الكتاب وأستغفرك على تقصيري فيه وفي نفسي فإنك ولي في الدنيا والآخرة تعلم سرى وعلنى القادر على وأنت الآخذ بناصيتي وإليك منقلبي ومرجعي ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

تم الكتاب

تم الكتاب وربنا محمود وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبي محمد صلواته ماناح قمرى وأورق

اللهم اغفر لى ولوالدى اللهم ارحمهما كما ربيانى صغيراً اللهم أطل
فى أعمارهما وحَسِّنْ أعمالهما وحسن خواتيمهما واجعلنى وإياهما من
ورثة جنة النعيم وورثة الفردوس الأعلى وامن علينا بجوار الحبيب محمد
ﷺ .

اللهم اغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم
والاموات ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلاً للذين آمنوا ربنا وتقبل دعاء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خلف محمد عبد الرحيم (القيمي)

مركز الفتح قرية الفيما شارع الخلفاء محافظة أسيوط